الفصل الرابع

الترادف وأشباه الترادف

في القرآن الكريم

الفصـــل الرابع

الترادف وأشباه التـــــرادف
في القرآن الكريم [1]

هناك جملة من النقـــاط التـي ينبغـي الإشـارة إليـها قبـل الدخـول فـي صلـب الموضوع، وأهمها:

١ – أن بحث قضية الترادف في القرآن لا يمكن أن يتم بمعزل عن بحثـها فـي اللغة العربية ككل، بـل فـي اللغـات كظـاهرة لفتـت نظـر القدمـاء قبـل أن تلفـت نظـر المحدثين.

٢ – أن الخلاف بين العلماء، قدامى ومحدثين، حول وقوع الـترادف أو عـدم وقوعه في اللغات بعامة، وفي اللغة العربية بخاصة لا يهمنا في المقام الأول. فهي قضيـة أشبعت بحثًا، ولم تعد فيها زيـادة لمستزيد.

٣ – أننا إذا أنكرنا وجود الترادف في بعض الكلمات، فـلا يمكننـا أن ننكـر وجوده في كل الكلمـات، سواء على المستوى القرآني أو غيره.

٤ – أن مفهـوم الترادف عندنا يتسع ليشمـل – إلى جانـب التـرادف التـام full synonymy شبـه الـترادف near synonymy، ويضـم كذلـك مـا يعـرف بالتكافؤ equivalence الـذي يضـم كلمات تدل على ذات واحدة ويختص كل منها بمزيد معنى.

ومنعا لأي سـوء فهم حرصنـا على تضمين العنوان كلمتين هما: الترادف،

---

(١) بحث ألقي في مؤتمر الدراسات القرآنية- مركز الدراسات الإسلامية- جامعة لندن- أكتوبر ١٩٩٩م.

أشباه الترادف حتى يمكن عرض الصورة كاملة دون انتقاص.

٥ – أننا مع تقريرنا حدوث ترادف في بعض ألفاظ القرآن الكريم فإننا نرى أن ما بين أكثرها من ترادف أو تطابق في المعنى إنما يتحقق فيما يمكن أن يسمى بالمعنى الأساسي، أو الأولي، وهو "المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق، أو حينما ترد منفردة"[١]. وهذا يعني بالضرورة أن الترادف بين الكلمتين القرآنيتين إنما يتحقق حينما تعزلان عن سياقيهما، ويتعامل معهما على أنهما وحدتان معجميتان مستقلتان، ويعني كذلك أنهما باعتبارهما وحدتين مستقلتين قابلتان للاستخدام في العديد من السياقات، مما قد يخلق شعوراً وهميًا بتطابقهما، مع أن شرط التطابق، أو الترادف الكامل هو إمكانية تبادل اللفظين interreplaceability في كل السياقات دون أي فرق في المعنى، وهو – على حد تعبير أولمان – "ترف لا يمكن للغة أن تقدمه بسهولة"[٢].

٦ – أن الباحث في مترادفات القرآن لا يصح أن يغيب عن باله الحقيقة أن القرآن نزل باللغة العربية الفصحى المؤسسة غالبًا على لهجة قريش، والمحتوية – في الوقت نفسه – على خصائص ومفردات من لهجات كثير من القبائل العربية[٣] ولا شك أن اختلاف اللهجات يعد عاملاً أساسيًا من عوامل وجود الترادف.

٧ – أنه لا يصح كذلك إغفال الحقيقة أن معظم الكلمات لا تتطابق تطابقا تامًا– حتى وهي مفردة معزولة عن سياقها – في كل أنواع المعنى[٤]، إلى جانب معناها الأساسي. وإدراك الفروق الدقيقة في هذه المعاني هو المحك الحقيقي لدقة الاستخدام، وإحكام التعبير، وهو الذي يؤدي عادة إلى تفاوت الكتاب والأدباء في درجة توفيقهم في انتقاء كلماتهم الملائمة، أو الأكثر ملاءمة.

٨ – أنه من المبالغة في التنزيه أن نعتبر ما جاء في القرآن الكريم من تماثل في المعنى ليس من باب الترادف، وإنما من باب الآحاد[٥]، أو أنه من غير الممكن أن

يقوم لفظ مكان آخر بعد نقله من سياقه إلى سياق جديد[٦]، أو أن وقوع الترادف في القرآن يتنافى مع إحكام ألفاظه، وتنزيله من حكيم حميد[٧]؛ فالقرآن قد نزل بلغة العرب، وعلى طريقتهم، ولا شك أن لتنويع التعبير عندهم قيمة فنية خاصة حتى لو تطابق المعنيان.

ولندخل الآن في صلب الموضوع حتى لا تطول بنا المقدمات، وسنلتزم في بحثنا بالاختصار والتركيز – من ناحية، وبتغطية النقاط الآتية من واقع النص القرآني – من ناحية أخرى:

١ – الترادف التام.

٢ – شبه الترادف.

٣ – التكافؤ.

٤ – الترادف في أسماء الله الحسنى.

أولاً: الترادف التام

مثل هذا النوع من الترادف قليل أو نادر الوقوع على مستوى اللغة ككل، وهو على نفس النحو بالنسبة للقرآن الكريم. ومع هذا فقد استطعنا – بعد تتبعنا لألفاظ القرآن الكريم – أن نضع أيدينا على عشرات الأمثلة التي تصلح أن تكون نماذج للترادف التام الواقع في القرآن الكريم، وسنقتصر من بينها على الأمثلة الآتية:

١ – الفعلان آثر وفضّل:

لو وضعنا مجموعة الآيات:

تالله لقد آثرك الله علينا (يوسف ٩١)

وآثر الحياة الدنيا (النازعات ٣٨)

بل تؤثرون الحياة الدنيا (الأعلى ١٦)

إلى جانب الآيات :

وأني فضلتكم على العالمين (البقرة ٤٧)

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (البقرة ٢٥٣)

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق (النحل ٧١)

لوجدناها متماثلة في المعنى. ولو فسرنا "آثر" الواردة في الآيات الثلاث الأولى بـ"فضّل" سنجد المعنيين متساويين لا نكاد نعثر على فرق بينهما. ويؤيد هذا قول القرطبي في تفسير آية يوسف: "والمعنى: لقد فضلك الله علينا"[٨]، وقول أبي حيان: "آثرك: فضلك"[٩]. وورد مثل هذا في لسان العرب لابن منظور (أثر)، إذ قال: "وآثره عليه: فضله. وفي التنزيل: لقد آثرك الله علينا.. الأصمعي: آثرتك إيثارا: أي فضلتك".

٢ — الفعلان أرسل وبعث:

مما جاء في الأولى قوله تعالى :

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله (النساء ٦٤)

أرسل رسوله بالهدى (التوبة ٣٣)

أرسل الرياح بشرا (الفرقان ٤٨)

ومما جاء في الثاني قوله تعالى:

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (البقرة ١٢٩)

فبعث الله النبيين (البقرة ٢١٣)

بعث فيهم رسولا من أنفسهم (آل عمران١٦٤)

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (الفرقان ٥١)

ربما لو أخرجنا السياق الذي ورد فيه الفعل "أرسل" في آية الفرقان لأمكن التبادل التام بين الفعلين في الآيات الأخرى التي ارتبط الإرسال والبعث فيها بالرسل والأنبياء.

ومحاولة أبي هلال العسكري التفرقة بين البعث والإرسال بقوله: "إنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها"[١٠] - هذه المحاولة بالإضافة إلى ما فيها من تكلف وغموض تتنافى مع إرسال الرياح الوارد في سورة الفرقان، والذي يلغي المنع الذي فرضه على إرسال الطفل إلى المكتب.

كما أن محاولة الكفوي ليست أنجح من محاولة العسكري، فقد فرّق بين البعث والإرسال بأن الإرسال تكليف بفعل شيء، فهو لابد أن يكون محدودا، بخلاف البعث فهو عام. ولذا قال الرسول: "بعثت إلى الناس عامة"، ولم يقل أرسلت؛ لأن الإرسال الذي يتضمن تبليغ عموم الدعوة خارج عن الوسع[١١]. ولما لم يطرد هذا التفريق مع آيات الإرسال والبعث في القرآن لجأ الكفوي إلى التأويل في آيات مثل: "يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا" (الأعراف ١٥٨)، ومثل: "ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا" (الفرقان ٥١).

٣ — الكلمات ذلة واستكانة وذلّ:

مما ورد في القرآن الكريم مشتملا عليها أو على أحد مشتقاتها:

ضربت عليهم الذلة والمسكنة (البقرة ٦١)

وما ضعفوا وما استكانوا (آل عمران ١٤٦)

وتراهم يُعرَضون عليها خاشعين من الذل (الشورى ٤٥)

قال القرطبي: الذلة: الذل والصغار[١٢].

وقال: الاستكانة: الذلة والخضوع[١٣].

مما يعني ترادف هذه الألفاظ الثلاثة.

وعلى الرغم من تعرض أبي هلال العسكري لكلمة الذل، فهو لم يفرق بينها وبين الذلة والاستكانة، مما يعني موافقته الضمنية على ترادفها. أما ما فرق بينه وبين الذل فهو التذلل، والضعة، والصغار، والخزي، والضراعة، والخضوع[١٤].

٤ — الفعلان يئس وقنط :

مما ورد في القرآن الكريم مشتملا عليهما:

يئس الذين كفروا من دينكم	(المائدة ٣)
لا تيئسوا من رَوْح الله	(يوسف ٨٧)
يئسوا من رحمتي	(العنكبوت ٢٣)
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون	(الحجر ٥٦)
لا تقنطوا من رحمة الله	(الزمر ٥٣)
وإن مسه الشر فيئوس قنوط	(فصلت ٤٩)
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا	(الشورى ٢٨)

وقال القرطبي: القانط: الآيس[١٥].

وقال في تفسير آية فصلت: والمعنيان متقاربان[١٦].

وقال أبو حيان مفرقا بين اليَئُوس والقَنُوط: اليأس من صفة القلب، والقنوط ظهور آثار اليأس عليه[١٧].

وقال أبو هلال العسكري: القنوط أشد مبالغة من اليأس[١٨].

ويعكّر على فهم العسكري سياق الآية الوارد في سورة الزمر: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا — فإن نفي القنوط — على رأي أبي هلال العسكري — لا يستلزم نفي اليأس؛ لأن نفي الأكبر

لا يستتبع نفي الأصغر، والعكس هو الصحيح، وهو الذي يزيل أي احتمال لعدم قبول التوبة، ويكون المعنى: لا يكن عندكم أي ذرة من يأس من قبول التوبة؛ لأن الله يغفر الذنوب جميعًا.

ولهذا فنحن نميل إلى رأي القرطبي الذي ذكر أن المعنيين متقاربان، ويبقى البحث عن سرّ تكرار الصفة في آية فصلت، وهو هنا لقصد المبالغة والتأكيد[١٩]، ويكون من باب تكرار المعنى، وهو مثل ما جاء في القرآن الكريم من تكرار اللفظ بقصد المبالغة والتأكيد كذلك، وهو كثير في أساليب العرب وفي القرآن الكريم، كقوله تعالى: "إلا قيلا سلامًا سلامًا" (الواقعة ٢٦).

ويؤيد فهمنا لهذه الآيات ما جاء في لسان العرب من قوله في مادة يأس: اليأس القنوط، وفي مادة قنط: القنوط اليأس، وقول الكفوي: كل يأس في القرآن فهو قنوط إلا التي في الرعد[٢٠]، فإنها بمعنى العلم[٢١].

٥ — الكلمات سكب وصبّ وأفرغ :

مما جاء في القرآن الكريم مشتملاً عليها:

وماء مسكوب	(الواقعة ٣١)[٢٢]
أنا صببنا الماء صبا	(عبس ٢٥)
فَصَبّ عليهم ربك سوط عذاب	(الفجر ١٣)
آتوني أفرغ عليه قطرا	(الكهف ٩٦)
أفرغْ علينا صبرا	(البقرة ٢٥٠، الأعراف ١٢٦)

قال القرطبي: أصل السكب الصب.. أي وماء مصبوب[٢٣].

وقال: الإفراغ: الصب[٢٤].

وقال أبو حيان شارحًا الفعل أفرغ في آية الكهف: قام بصب النحاس المذاب على الحديد المحمي، فاختلط والتصق بعضه ببعض[٢٥].

وقد حاول أبو هلال العسكري التفرقة بين السكب والصب فقال: السكب: الصب المتتابع.. والصب يكون دفعة واحدة[٢٦]، وحاول أن يلتمس هذا الفرق من بعض السياقات الأخرى، ولكن الاستعمال القرآني يتنافى مع هذه المحاولة، وما جاء فيه من آيات حجة ضده، على الأقل في مثل هذه السياقات التي وردت في القرآن. فليس الصب في الآيتين المقتبستين مما يجوز تفسيره بالصب دفعة واحدة. فماء المطر في آية عبس لا يأتي دفعة واحدة، ولكن على دفعات متتالية أو متفرقة. وكذلك سوط العذاب المصبوب عليهم في آية الفجر من الأنسب أن يكون متكررا لا مرة واحدة.

٦ — الفعلان آتى وأعطى :

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

وآتت كل واحدة منهن سكينا	(يوسف ٣١)
آتاكم من كل ما سألتموه	(إبراهيم ٣٤)
آتوني زبر الحديد	(الكهف ٩٦)
آتوهم من مال الله الذي آتاكم	(النور ٣٣)
حتى يعطوا الجزية عن يد	(التوبة ٢٩)
ربنا الذي أعطى كل شيء	(طه ٥٠)
إنا أعطيناك الكوثر	(الكوثر١)

أول ما يلفت النظر في هذين الفعلين أنهما ليسا مما تناولهما أبو هلال العسكري بالشرح لينفي ما بينهما من ترادف، وهذا يوحي بأنه لا ينفي الترادف بينهما.

وقد ذكرت كتب التفسير أنهما مترادفان حينما فسرت أحدهما بالآخر، ومن ذلك قول القرطبي في آية إبراهيم: آتاكم: أعطاكم،[٢٧] وقوله في آية الكهف: آتوني زبر الحديد: أي أعطوني وناولوني[٢٨].

ومحاولة الكفوي التفرقة بين اللفظين بقوله إن الإيتاء أقوى من الإعطاء، وأنه يكثر فيما له ثبات وقرار[٢٩]- ينقضها الاستعمال القرآني في آيتي يوسف والكهف وغيرهما.

٧ — الأفعال ائتلى وأقسم وحلف :

مما ورد منها في القرآن الكريم:

للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر	(البقرة ٢٢٦)
ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى	(النور ٢٢)
أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم	(المائدة ٥٣)
أقسمتم لا ينالهم الله برحمة	(الأعراف ٤٩)
يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا	(النساء ٦٢)
ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم	(المائدة ٨٩)
وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى	(التوبة ١٠٧)

بادلت كتب التفسير بين هذه الكلمات الثلاث حين إرادة شرحها، فقد ذكرت في آية النور أن سبب نزولها حلف أبي بكر على مسطح ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة[٣٠].

وذكرت في آية البقرة أن معنى يؤلون: يحلفون[٣١]. وذكرت المصادر كذلك أن أبيًّا وابن عباس قرآ آية البقرة "للذين يقسمون"[٣٢]. وقال القرطبي في تفسير آية المائدة الأولى: أقسموا بالله: حلفوا[٣٣].

وقد حاول أبو هلال العسكري التفرقة بين القسم والحلف بأن القسم أبلغ من الحلف[٣٤]. ولو صح ذلك لكان أولى في آيتي النساء والتوبة أن يستخدم الفعل أقسم، لأن المقام مقام التأكيد والمبالغة، وهو ما جاء القرآن على خلافه.

٨ — الأفعال أتى وجاء وحضر :

مما ورد منها في القرآن الكريم:

أتى أمر الله فلا تستعجلوه	(النحـــل ١)
فلما أتاها نودي يا موسى	(طـــه ١١)
فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن	(القصص ٣٠)
جاء أحدكم الموت	(الأنعـام ٦١)
إنه قد جاء أمر ربك	(هـــود ٧٦)
فلما جاءها نودي أن بورك من في النار	(النمـــل ٨)
حضر يعقوبَ الموت	(البقرة ١٣٣)
حضر أحدَكم الموت	(البقرة ١٨٠، والمائدة ١٠٦)

ونحن نلفت النظر أول ما نلفت إلى آيتي القصص والنمل (أتى وجاء)، وإلى آيات البقرة والأنعام (حضر وجاء) لتطابق السياق اللفظي وسياق الموقف في كل مجموعة منهما مما يقطع بترادفهما، وإمكانية تبادلهما دون أدنى تغيير في المعنى.

ثم نشير إلى موقف أبي هلال العسكري الذي اكتفى بالتفرقة بين "أتى" و"جاء"، وأخرج "حضر" من المقارنة. وحتى مع محاولة هذه التفرقة لم يكن موفقا[٣٥]، ولذا عقب على تفرقته بقوله: ثم كثر ذلك حتى استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر[٣٦].

وقد حاول الكفوي التفرقة بين المجيء والإتيان بأن الإتيان مجيء بسهولة[٣٧].

ولا يظهر هذا الفرق في أمثلة الآيات السابق اقتباسها.

٩ — الكلمات سنة وعام وحَوْل :

مما ورد منها في القرآن الكريم:

يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة	(البقـــرة ٩٦)

أخذنا آل فرعون بالسنين (الأعراف ١٣٠)

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا (العنكبوت ١٤)

كان مقداره ألف سنة (السجدة ٥)

فأماته الله مائة عام (البقرة ٢٥٩)

يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين (التوبة ١٢٦)

ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس (يوسف ٤٩)

وفصاله في عامين (لقمان ١٤)

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين (البقرة ٢٣٣)

وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج (البقرة ٢٤٠)

إذا استبعدنا مجيء السنة مفردا وجمعًا بمعنى القحط والجدب (الأعراف ١٣٠) فإن التبادل بين الكلمات الثلاث لا يشعر بأي فرق في المعنى، مهما حاول بعضهم التماس هذا الفرق[٣٨].

ويؤكد ترادف هذه الألفاظ الثلاثة ما جاء في كتب التفسير من مثل قول الزمخشري في آية العنكبوت: "فإن قلت فلم جاء المميز أولا بالسّنة، وثانيا بالعام قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة[٣٩]. أي أنه كان من الممكن تبادل اللفظين سنة وعام في هذا السياق، لولا النكتة البلاغية. ويقول القرطبي في آية البقرة ٢٣٣: "حولين كاملين: أي سنتين ... وسمي العام حولا لاستحالة (يعني: لَتحوّل) الأمور فيه في الأغلب"[٤٠]. فأنت ترى كيف بادل القرطبي بين الكلمات الثلاث بحريّة دون أن يحس بأي فرق بينها.

١٠- الفعلان اقترب ودنا:

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

وأنْ عسى أن يكون قد اقترب أجلهم (الأعراف ١٨٥)

اقترب للناس حسابهم	(الأنبيـــاء ١)
ثم دنا فتدلى	(النجـــم ٨)
اقتربت الساعة وانشق القمر	(القـمـــر ١)
وجنى الجنتين دان	(الرحمـن ٥٤)
قطوفها دانية	(الحـاقة ٢٣)

قال القرطبي في آية الرحمن: دان: قريـب[٤١]. وقـال الزمخشـري: قريـب ينالـه القائم والقاعد والنائم[٤٢]. وفي لسان العرب (قرب): الاقتراب: الدنو.

وقد حاول أبو هلال العسكري[٤٣] التفرقة بين اللفظين بأن الدنوّ لا يكون إلا في المسافة، وأن القرب عامّ في ذلك وفي غـيره. وهـو فـرق لا ينفـي الـترادف بينـهما فـي العديد من السياقات.

وأخيرا يجب ألا ننسى أن من الكلمات نوعًا فقد شفافيته فسماه علماء اللغة بالكلمات المعتمة لخلوها من أي معان إضافية أو إيحائية، فمثل هذه الكلمات يسـهل التبادل بينها في الموقع الواحد دون حرج[٤٤]، وقد ورد منها في القرآن الكريم نمـاذج متعددة، مثل:

١ — كلمتا خلف، ووراء:

فقوله تعالى: فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم (النساء ١٠٢)، لا تحـس بفـارق معنى فيها بين وراء وخلف.

وقوله تعالى: وإني خفت الموالي من ورائي (مريم ٥)، يتماثل معنى الوراء فيه مع معنى الخلف في قوله تعالى: وليخـش الذيـن لـو تركـوا مـن خلفـهم ذريـة ضعافًـا (النساء ٩).

٢ — كلمتا أسفل وتحت:

قوله تعالى: إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم (الأحزاب ١٠) يتماثل مع قوله تعالى: قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم (الأنعام ٦٥). ومثل هذا يقال في قوله تعالى: "إذ يبايعونك تحت الشجرة" (الفتح ١٨) الذي لا تجد غضاضة فيه أن تفسر كلمة تحت بكلمة أسفل.

٣ — كلمتا غرفة وحجرة:

مما جاء منهما في القرآن الكريم قوله تعالى:

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (الحجرات ٤)

وهم في الغرفات آمنون (سبأ ٣٧)

قال أبو حيان[٤٥] الحجرة: الرفعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وقال الكفوي[٤٦]: الحجرة: اسم للقطعة من الأرض المحجورة بحائط.

وقال أبو حيان في آية سبأ: أي في العلالي، وقال في اللسان (غرف): الغرفة: العلّية.

ثانيا: شبه الترادف

يطلق هذا النوع على الكلمات التي يستخدمها ابن اللغة العادي على أنها مترادفة أو متطابقة، وهي ليست كذلك في الاستخدام القرآني الذي يفرّق بينها بصورة تمنع التبادل بينها في السياق الواحد إلا بشيء من التجوز، وهذا النوع كثير في القرآن الكريم، ولذا سنكتفي بعدد من الأمثلة القليلة الكاشفة:

١ — كلمتا الحلم والرؤيا:

وردت الكلمة الأولى بصيغة الجمع في القرآن الكريم لما يُرى في المنام، ومن ذلك:

قالوا أضغاث أحلام (يوسف ٤٤)

بل قالوا أضغاث أحلام، بل افتراه (الأنبياء ٥)

ووردت الكلمة الثانية بصيغة المفرد في القرآن الكريم بالمعنى العام نفسه، ومن ذلك:

لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك (يوسف ٥)

يأيها الملأ أفتوني في رؤياي (يوسف ٤٣)

قد صدّقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين (الصافات ١٠٥)

وعلى الرغم من اشتراك اللفظين في أصل المعنى، وهو ما يراه النائم، فإن كلمة "الحلم" لم ترد في القرآن إلا مرتبطة بالهلاوس، والأحلام المختلطة، والرؤى الكاذبة[٤٨]، في حين أن كلمة "رؤيا" لم تأت إلا في الأحلام الصادقة، ولذا روي عن الرسول ﷺ قوله: "الرؤيا جزء من أربعين جزءا من النبوة"، وقوله: "لم يبق من النبوة إلا المبشّرات"، وحين سئل، وما المبشرات، قال: "الرؤيا الصالحة"[٤٩]. كما روي عن ابن عباس قوله: "رؤيا الأنبياء وحي"[٥٠]. وبعد أن ذكر ابن منظور أن الرؤيا تغلب فيما يرى من الخير، والحلم فيما يرى من الشر والقبيح، روي حديثاً يقول "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"[٥١].

ومع وجود هذا الفرق في الاستخدام القرآني نجد الكفوي يقول: "وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر"[٥٢].

٢ — كلمتا الغيث والمطر:

وردت الكلمة الأولى في آيات، مثل:

إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث (لقمان ٣٤)

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا (الشورى ٢٨)

ووردت الثانية في آيات مثل:

وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (الأعراف ٨٤)

وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (الشعراء ١٧٣)

وقد ذهب كثير من اللغويين إلى ترادف لفظي الغيث والمطر، وتطابقهما في المعنى[٥٣]، ولكن تتبع الاستعمال القرآني يدل على وجود صفة فارقة بينهما بعد اشتراكهما في أصل المعنى. وهذا يتمثل فيما نقله الثعالبي من أن المطر إذا جاء عقيب المَحل أو عند الحاجة إليه فهو الغيث[٥٤]، وفيما قاله القرطبي: "الغيث: المطر. وسمي غيثا لأنه يغيث الخلق .. وعن الأصمعي قال: مررت ببعض قبائل العرب وقد مطروا، فسألت عجوزا منهم، أتاكم المطر؟ فقالت: غثنا ما شئنا غيثا". وقد عقب القرطبي نقلا عن الماوردي قائلاً: "والغيث ما كان نافعًا في وقته، والمطر قد يكون نافعاً وضاراً، في وقته وغير وقته[٥٥]. ولا شك أن الاستعمال القرآني يؤيد هذه التفرقة الدقيقة في المعنى. واللافت للنظر أن العسكري لم يتعرض لهذا الفرق في كتابه "الفروق".

٣ — كلمتا الهمز واللمز:

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا (التوبة ٥٨)

الذين يلمزون المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات (التوبة ٧٩)

وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين (المؤمنون ٩٧)

ولا تطع كلا حلاّف مهين، هماز مشّاء بنميم (القلم ١٠،١١)

ويل لكل همزة لمزة (الهمزة ١)

ذهب كثير من العلماء إلى أن الهمز واللمز بمعنى واحد، ولكن الاستعمال القرآني يفرّق بينهما فيستخدم الهمز فيما كان خفيا أو في غياب الشخص، واللمز فيما كان ظاهرا أو في وجه الشخص. ولهذا يقول المبرد: الهمز أن يهمز الإنسان بقول قبيح

من حيث لا يسمع، واللمز أجهر من الهمز، ولذا قال تعالى: همزات الشياطين، ولم يقل لمزات، لأن مكايدة الشيطان خفية[٥٧]. ويقول ابن منظور: وقوله تعالى: ومنهم من يلمزك في الصدقات: أي يحرّك شفتيه[٥٨]، ويقول قتادة: أي يطعن عليك[٥٩]. ويفرق الكفوي بين اللفظين قائلاً: اللمز: الغمز في الوجه بكلام خفي، والهمز: في القفا[٦٠].

٤ — كلمتا الوالدة والأم:

وردت كلمة "الوالدة" مفردة في ثلاث آيات هي:

لا تضارّ والدة بولدها (البقرة ٢٣٣)

اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك (المائدة ١١٠)

وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (مريم ٣٢)

ووردت مجموعة في آية واحدة هي:

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين (البقرة ٢٣٣)

والآيات الأربع ترتبط بصفة الوالدية، أو الحمل والولادة التي هي أعلى درجات القرابة وأوثقها، ولذا علقت بها أحكام خاصة مثل: البر وأحقية الرضاعة.

أما كلمة أم فقد وردت في آيات كثيرة لتشير إلى قرابة النسب مثل:

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه (القصص ٧)

أو لتشير إلى صفة الأمومة التي تسبق مرحلة الولادة فلا تستحق الأم معها بعدُ أن تسمى والدة، مثل:

حملته أمه وهنا على وهن (لقمان ١٤)

وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم (النجم ٣٢)

أو للإشارة إلى صلة الرضاع مثل:

وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم (النساء ٢٣)

أو لوصف زوجات الرسول ﷺ على سبيل التشبيه، مثل:

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم (الأحزاب ٦)

ويتنوع الاستعمال القرآني للفظين يتبين عدم تطابقهما في المعنى، وإن تقاربا دلاليا، أو جمع بينهما ما يسمى بشبه الترادف.

٥ — الفعلان أكمل وأتم:

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم (البقرة ١٨٥)

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (المائدة ٣)

ثم أتموا الصيام إلى الليل (البقرة ١٨٧)

وأتموا الحج والعمرة لله (البقرة ١٩٦)

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر (الأعراف ١٤٢)

الفرق بين اللفظين أن التمام يأتي لنفي النقص، والكمال لنفي العيب، والنقص منه. فالدين في آية المائدة كان تاما في نفسه ثم كمل في هذا اليوم فاستوفى آدابه وتعاليمه. أما النعمة فكانت ناقصة وإنما تمت في هذا اليوم بكمال الدين الذي استوفى أسبابه وغاياته[٦١]. ولذا يقول الكفوي: التتميم يرد على الناقص فيتممه، والتكميل يرد على التام فيكمله، إذ الكمال أمر زائد على التمام، والتمام يقابل نقصان الأصل، والكمال يطابق نقصان الوصف بعد تمام الأصل[٦٢].

ثالثاً: التكافؤ

يرد عدد من اللغويين كثيرا من ألفاظ الترادف إلى فرع سموه بالمتكافئ، وعنوا به الكلمات التي تدل على ذات واحدة، ويختص كل منها بمزيد معنى، قالوا: فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات.

ولو استعرضنا أسماء الأسد – مثلاً – لوجدنا كثيرا منها من قبيل الصفات التي يشير كل منها إلى معنى محدد: فالضيغم: مأخوذ من الضغم، وهو العض الشديد، والغضنفر: الغليظ الخلق الكثير الشعر. والقسورة: من القسر وهو القهر والغلبة والعزة. والهصور من الهصر، وهو جذب الشيء وكسره، والميّاس من الميس، وهو التبختر والاختيال ... وهكذا. ولهذا كان أبو على الفارسي يقول: لا أحفظ للسيف إلا اسما واحدا وهو السيف. وحين سئل: فأين المهنّد والصارم .. وكذا وكذا، قال: هذه صفات[٦٣].

والمتتبع لألفاظ القرآن الكريم يستطيع أن يستخلص منها عشرات الأمثلة لهذا النوع من الترادف، ومن ذلك:

١ – أسماء الله الحسنى، التي تدل على ذات واحدة، ويتفرد كل منها بمعنى خاص، وسوف نعرض نماذج من هذه الأسماء فيما بعد.

٢ – أسماء القيامة،التي جاء منها في القرآن:الآزفة (غافر ١٨)، والحاقة (الحاقة ١-٣)، والساعة (الأنعام ٣١)، والصاخّة (عبس ٣٣)، والطامة (النازعات ٣٤)، والغاشية (الغاشية ١)، والقارعة (القارعة ١-٣)، والواقعة (الواقعة ١).

٣ – أسماء جهنم، التي جاء منها في القرآن:سقر(المدثر ٢٦)،والسعير(الحج ٤)، والحطمة (الهمزة ٤).

٤ – أسماء الريح، التي ورد منها في القرآن: إعصار (البقرة ٢٦٦)، والإعصار: ريح تهب بشدة وتثير الغبار وترتفع كالعمود في السماء. وحاصب (الإسراء ٦٨)، والحاصب: الريح الشديدة التي تحمل التراب والحصباء. وذارية(الذاريات ١)، والذارية: الريح التي تحرك التراب. وسموم(الطور ٢٧)، والسموم: الريح الحارة تكون غالبًا بالنهار. وصرصر (الحاقة ٦)، والصرصر: الريح الشديدة البرد، أو الصوت.

٥ – أسماء القرآن، التي ورد منها في القرآن: تنزيل (الشعراء ١٩٢)، وذكر (آل عمران ٥٨)، وفرقان (آل عمران ٤)، وكتاب (البقرة ٢).

رابعًا: الترادف في أسماء اللـــه الحسنى

لا يوجد بين أي اسمين من أسماء الله الحسنى تطابق تام في المعنى ولكن قد يوجد بينهما شبه ترادف أو تقارب دلالي مما قد يوهم بوجود ترادف بينهما.

ويأتي اختلاف المعنى في أسماء الله الحسنى إما نتيجة اختلاف الجـذر، أو نتيجة اتحاده مع اختلاف المعنى الصرفي.

فمما جاء الاختلاف فيه نتيجة اختلاف الجذر على الرغم من تقارب المعنيين مجموعات الأسماء الآتية:

١- حميد، وشكور (أو شاكر)، كقوله تعالى:

واعلموا أن الله غني حميد	(البقرة ٢٦٧)
إنه حميد مجيد	(هـــود ٧٣)
فمن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم	(البقرة ١٥٨)
إن ربنا لغفور شكور	(فـــاطر ٣٤)

وقد استدل العلماء على اختلافهما بالجمع بينهما في أكثر من حديث وأثر، إذ الأصل في العطف المغايرة، ففي الحديث: "فـإذا جعـت تضرعـت إليـك وذكرتـك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك" وفي حديث آخر "فكبرت الله وحمدت وشكرت"[٦٤].

وقد فرق أبو هلال العسكري بين اللفظين قـائلاً: إن الشـكر الاعـتراف بالنعمـة على جهة التعظيم للمنعم، ولا يصح إلا على النعمة، أما الحمد فـهو الذكـر بـالجميل على جهة التعظيم، ويصح على النعمة وغير النعمة. وقد جاز وصف الله بالشكر مجازا، والمراد أنه يجازي على الطاعة جزاء الشاكرين على النعمة[٦٥].

ومنه كذلك مجموعة الأسماء الآتية:

٢- حفيظ، ورقيب، ومهيمن، كقوله تعالى:

الله حفيظ عليهم (الشورى ٦)

وكان الله على كل شيء رقيبا (الأحزاب ٥٢)

القدوس السلام المؤمن المهيمن (الحشر ٢٣)

قال أبو هلال العسكري: الرقيب الذي يرقبك مفتشا عن أمورك، والحفيظ لا يتضمن معنى التفتيش عن الأمور والبحث عنها، والمهيمن: القائم على الشيء بالتدبير(٦٦).

٣- ومنه كذلك وصفه تعالى بأنه عفو وغفور، كقوله تعالى:

إن الله لعفوّ غفور (الحج ٦٠)

قال أبو هلال العسكري: أنت تقول عفوت عنه، فيقتضي ذلك أنك محوت الذنب والعقاب عنه، وتقول: غفرت له، فيقتضي ذلك أنك سترت له ذنبه ولم تفضحه به(٦٧).

٤- ووصفه تعالى بأنه قادر وقهار، كقوله تعالى:

أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (القيامة ٤٠)

أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (يوسف ٣٩)

قال أبو هلال العسكري: القدرة تكون على صغير المقدور وكبيره، أما القهر فيدل على كبر المقدور. ولهذا يقال: ملك قاهر إذا أريد المبالغة في وصفه بالقدرة(٦٨).

٥- ووصفه تعالى بأنه الخالق والبارئ والمصوّر، وذلك قوله تعالى:

هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى (الحشر ٢٤)

قال الغزالي: قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع. ولا ينبغي أن يكون كذلك؛ لأن كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يحتاج إلى التقدير أولا، وإلى الإيجاد وفق التقدير ثانيًا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا.

والله تعالى خالق من حيث إنه مقدّر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب[٦٩].

أما ما اتحد جذره وجاء اختلاف معناه نتيجة اختلاف المعنى الصرفي، أو مجيء اللفظ على صيغة معينة فكثير، منه:

١- **العالم مع العليم والعلاّم**، كقوله تعالى:

عالم الغيب والشهادة (الأنعام ٧٣)

فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم (البقرة ٢٩)

إنك أنت علام الغيوب (المائدة ١٠٩)

٢- **الحافظ مع الحفيظ**، كقوله تعالى:

فالله خير حافظاً (يوسف ٦٤)

إن ربي على كل شيء حفيظ (هود ٥٧)

٣- **الخالق مع الخلاق**، كقوله تعالى:

هو الله الخالق البارئ المصور (الحشر ٢٤)

إن ربك هو الخلاق العليم (الحجر ٨٦)

٤- **الرحمن مع الرحيم**، كقوله تعالى:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم (الفاتحة ٢،٣)

٥- **الرازق مع الرزاق**، كقوله تعالى:

وأنت خير الرازقين (المائدة ١١٤)

إن الله هو الرزّاق ذو القوة (الذاريات ٥٨)

٦- الغافر مع الغفور والغفار وذو المغفرة وأهل المغفرة، كقوله تعالى:

غافر الذنب وقابل التوب (غـــافر ٣)

إن الله غفور رحيم (البقرة ١٨٢)

رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (ص ٦٦)

إن ربك لذو مغفرة (فصلت ٤٣)

هو أهل التقوى وأهل المغفرة (المدثر ٥٦)

٧- القادر مع القدير والمقتدر، كقوله تعالى:

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا (الأنعام ٦٥)

إن الله على كل شيء قدير (البقـرة ٢٠)

في مقعد صدق عند مليك مقتدر (القمـر ٥٥)

٨- القاهر مع القهار، كقوله تعالى:

وهو القاهر فوق عباده (الأنعام ١٨)

وهو الواحد القهّار (الرعد ١٦)

٩- الأكرم مع الكريم وذو الإكرام، كقوله تعالى:

اقرأ وربك الأكرم (العـلـق ٣)

يأيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم (الانفطار ٦)

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (الرحمن ٢٧)

أول ما يلفت النظر في هذه الأسماء أنها جاءت من خمسة أنواع هي:

١ – اسم الفاعل الذي يدل على التجدد والحدوث، ويصاغ من اللازم والمتعدي.

٢ – الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت والدوام، وتصـاغ عـادة مـن الفعـل الثلاثـي اللازم.

٣ - صيغ المبالغة التي تدل على التأكيد والمبالغة والتكثير، وتصاغ عادة من الفعل المتعدي.

٤ - النسب بالصيغة الذي يدل على التمكن من الوصف والسيطرة عليه.

٥ - اسم التفضيل الذي يدل على وجود الصفة مع قصد المقارنة.

فهي على الرغم من مجيئها في مجموعات ذات جذر واحد فقد انتفى ترادفها لاختلاف معناها الصرفي، ولذا ناسب كل منها سياقا معينا لا يناسب الآخر. ولنتناول بعض الأمثلة السابقة بشيء من التفصيل:

١ — عالم وعليم وعلاّم:

وردت الكلمات الثلاث في القرآن الكريم وصفًا لله تعالى، فوردت الأولى ثلاث عشرة مرة، والثانية أكثر من مائة وخمسين مرة، والثالثة أربع مرات.

وقد التزم الاستخدام القرآني التفرقة بين عالم وعلام على حسب متعلق كل منهما. فإذا كان مفردا استخدم لفظ "عالم"، وإذا كان جمعًا استخدم لفظ "علام"، ولذا قال تعالى:

عالم الغيب	(سبأ ٣ والجن ٢٦)
عالم الغيب والشهادة	(عشر مرات منها الأنعام ٧٣)
عالم غيب السموات والأرض	(فاطر ٣٨)
في حين قال: علاّم الغيوب	(أربع مرات منها المائدة ١٠٩، ١١٦)

فقد ناسب المتعلق المفرد اسم الفاعل عالم، وناسب المتعلق الجمع صيغة المبالغة علاّم التي تدل على التأكيد والمبالغة إلى جانب التكثير.

أما الوصف عليم فيختلف عن الوصفين الآخرين في أنه جاء على وزن من أوزان الصفة المشبهة التي تدل على ثبوت الصفة ورسوخها، ولا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل، ولذا جاء متعلقها متعددًا متنوعًا في القرآن الكريم بخلاف الوصفين

عالم وعلام اللذين جاءا مقيدين دائما بعلم الغيب، وقد تضاف إليه الشهادة. وتدل على ذلك الآيات الآتية:

بكل شيء عليم (البقرة ٢٩)، عليم بالظالمين (البقرة ٩٥)، عليم بالمفسدين (آل عمران ٦٣)، عليم بالمتقين (آل عمران ١١٥)، عليم بذات الصدور (آل عمران ١١٩)، بما تعملون عليم (البقرة ٢٨٣)، عليم بما يصنعون (فاطر ٨).

٢ — خالق وخلاّق:

وردت صفة الخالق في القرآن الكريم بصيغة المفرد عدة مرات للدلالة على تجدد الفعل وحدوثه، كقوله تعالى: خالق كل شيء (الأنعام ١٠٢، الرعد ١٦٩، الزمر ٦٢، غافر ٦٢). وجاءت معرفة "بال" وخالية من كل قيد في آية واحدة ، هي: هو الله الخالق البارئ المصور (الحشر ٢٤)، وهو تعريف أريد به القصر أو التفرد بهذه الصفة دون سائر الموجودات.

أما صفة الخلاق فقد وردت مرتين هما:

إن ربك هو الخلاق العليم (الحجر ٨٦)

بلى وهو الخلاق العليم (يس ٨١)

ووزن فعّال يدل على المبالغة، وكثرة حدوث الفعل كما وكيفا، وتكرار وقوعه وقتًا بعد وقت، ولذا جعله بعض الصرفيين لمن صار له الفعل صناعة. بل ذهب بعضهم إلى أن فعال في المبالغة أصل لفعال في الصناعة، لأن الصناعة تقتضي كثرة المعاناة والمداومة والتكرار[٧٠]. ويقول أبو حيان تعليقًا على آية الحجر: أتى بصيغة المبالغة لكثرة ما خلق، أو لأنه الخلاق من شاء لما شاء من سعادة أو شقاوة[٧١].

ويلاحظ أنه القرآن لم يستخدم الوصف "خلاّق" إلا بعد الحديث عن أمر جليل الشأن، عظيم القدر. فقد جاء الوصف في آية الحجر بعد الحديث عن خلق

السموات، والأرض، وما بينهما، وعن يوم القيامة. وجاء في آية يس بعد الحديث عن أمر البعث، والإحياء، وخلق السموات والأرض.

٣ — رحمن ورحيم:

ورد اسم الرحمن في القرآن الكريم سبعًا وخمسين مرة في حين ورد اسم الرحيم وصفا لله تعالى مائة وأربع عشرة مرة. وورد الاسمان مقترنين في ستة مواقع من بينها البسملة والآية الثالثة في سورة الفاتحة.

وأول ما يفرق بين الاسمين مجيء أولهما على وزن من أوزان الصفة المشبهة التي تفيد ثبوت الصفة ودوامها، ومجيء الآخر على وزن من أوزان صيغ المبالغة[٧٢] التي تفيد كثرة وقوع الفعل وتكراره.

كما يفرق بينهما أن لفظ الرحمن في الاستعمال القرآني يكاد يفقد معناه الضيق المحكوم بمعنى جذره، ويدل على جملة المعاني العامة التي تليق بذات الله تعالى، حتى قال بعضهم بعلميته، لقربه في الاستعمال من اسم الله تعالى الجاري مجرى العلم. ومن أجل هذا لم يرد الرحمن في القرآن إلا وصفا لله تعالى في حين أن الرحيم جاء وصفاً لله ولغيره، كقوله تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتّم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم (التوبة ١٢٨).

والمتتبع للاستعمال القرآني يلاحظ أن لفظ الرحمن جاء في سياقات عامة لا ترتبط بمعنى الرفق والإحسان والعطف بخلاف لفظ الرحيم، ولذا يقول تعالى:

الرحمن على العرش استوى	(طـــه ٥)
وخشعت الأصوات للرحمن	(طـه ١٠٨)
الملك يومئذ الحق للرحمن	(الفرقان ٢٦)

وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن (الفرقان ٦٠)

ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت (الملك ٣)

أما لفظ الرحيم فقد ارتبط أكثر ما ارتبط بسياقات محددة تناسب معناه اللغوي كالمغفرة (٧٢ مرة)، والتوبة (٩ مرات)، والرأفة (٨ مرات) ... وغير ذلك.

ويختص لفظ الرحمن كذلك بأنه كثيرا ما جاء في القرآن الكريم قائما بذاته، حالاً محل لفظ الجلالة، ولذا لم يأت إلا بالألف واللام، فلم يأت نكرة ولا مضافاً[٧٣].

ويتفق مع هذا الفهم ما لاحظناه من أن العبودية لم تأت منسوبة إلى اسم من أسماء الله تعالى في القرآن إلا للأسماء العامة كلفظ الجلالة، ولفظ "الرب" ولفظ "الرحمن" كقوله تعالى:

الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب (الكهف ١)

ذكر رحمة ربك عبده ذكريا (مريم ٢)

إلا عباد الله المخلصين (الصافات ٤٠)

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده (مريم ٦١)

إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (مريم ٩٣)

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (الفرقان ٦٣)

٤ — غافر وغفور وغفّار وذو المغفرة وأهل المغفرة:

أهم ما يميز الاستعمال القرآني للصفات الثلاث الأولى أن كلمة "غافر" جاءت لمجرد إثبات الفعل وحدوثه، ولأنها جاءت مضافة إلى الذنب (غافر ٣) وهو مفرد ناسب المقام استخدام صيغة اسم الفاعل الدالة على مجرد وقوع الحدث.

أما حين كان متعلق الصفة متعددا أو متكرر الوقوع فقد جاء الاستخدام لصيغة المبالغة "غفار" التي تدل على تكرار الفعل وكثرة متعلقاته، كقوله تعالى:

وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا (طه ٨٢)

وجاء لفظ غفور متكرر الاستعمال في القرآن الكريم بصورة لافتة للنظر (إحدى وتسعين مرة)، ومتنوع الارتباط (مع الرحمة، والحلم، والعفو، والود، والشكر، وغيرها)، ومقصوراً على الذات الإلهية، ومحذوف المتعلق - كل هذا لتأكيد معنى الصيغة، وإدخالها في باب الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت واللزوم.

أما الصفتان الأخيرتان فيميزهما عما سبقهما أنهما يدلان على تملك الصفة والتمكن منها، لأنهما يشبهان التعبير بالكناية الذي يجمع بين الشيء ودليله، فكأنه قيل إن الله يتصف بالمغفرة لأنه صاحبها ومالكها والمتصرف فيها[٧٤].

٥ — قادر وقدير ومقتدر:

على الرغم من اشتراك الثلاثة في معنى التمكن من الفعل بلا واسطة، فإنه يميز بين الثلاثة أن الأول يأتي لمجرد إثبات الصفة، والثاني للدلالة على تمام القدرة؛ لأنه من أوزان الصفة المشبهة، أما الثالث فيدل على المبالغة في القدرة. يقول الاستراباذي في شرح الشافية: المزيد فيه .. لابد لزيادته من معنى، لأنه إن لم يكن كذلك كان عبثًا[٧٥]. **فمن أمثلة الأول** قوله تعالى:

قل إن الله قادر على أن ينزل آية (الأنعام ٣٧)

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً (الأنعام ٦٥)

ومن أمثلة الثاني:

على كل شيء قدير(تكررت ثلاثا وثلاثين مرة من جملة تسع وثلاثين، منها البقرة ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، ٢٥٩، ٢٨٤)

يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (الروم ٥٤)

ومن أمثلة الثالث (وقد ورد أربع مرات في صورتي المفرد والجمع):

فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر (القمر ٤٢)

في مقعد صدق عند مليك مقتدر (القمر ٥٥)

وكان الله على كل شيء مقتدرا (الكهف ٤٥)

فإنا عليهم مقتدرون (الزخرف ٤٢)

٦ — قاهر وقهّار:

يشترك الاسمان في معنى الغلبة وصرف الشيء عن طبيعته على سبيل الإرغام ولكن يفرق بينهما دلالة الأول على مجرد إثبات الصفة، وقد ورد في القرآن مرتين هما: وهو القاهر فوق عباده (الأنعام ١٨، ٦١). أما الثاني فقد ورد ست مرات في القرآن هي:

أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (يوسف ٣٩)

قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار (الرعد ١٦)

وبرزوا لله الواحد القهار (إبراهيم ٤٨)

قل إنما أنا منذر، وما من إله إلا الله الواحد القهار (ص ٦٥)

سبحانه هو الله الواحد القهار (الزمر ٤)

لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار (غافر ١٦)

وجاء ليدل على معنى المبالغة في القهر كما وكيفا، ولذا قال الغزالي في تفسيره: هو الذي يقصم ظهر الجبابرة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال[٧٦].

ويلاحظ أن وصف القهار جاء في آياته الست على نمط واحد يتلاءم مع معنى المبالغة:

• فهو مسبوق بلفظ الجلالة "الله"، وبوصف "الواحد"، وكأنّ الآيات ترتب بذلك شيئًا على شيء، فلفظ الجلالة "الله" الذي يعد أشمل الأسماء لجميع صفات الكمال يحمل في مفهومه كل معاني العظمة والقوة والقدرة والجبروت، وهي كلها صفات تسلم إلى معنى القهر للغير. ولفظ "الواحد" الذي يحمل معنى التفرد، ومخالفة الحوادث، ونفي الشريك يؤدي بالضرورة إلى تصور صفات ينفرد بها دون غيره، وإلى القيام بأنواع

من الفعل لا يقدر عليها سواه، وهي كلها صفات تسلم إلى القدرة على التصرف المطلق وقهر الغير، لا على سبيل الندرة، ولكن على سبيل التمكن وتكرار الفعل.

• وهو قد جاء مع حديث سابق أو لاحق عن أمر جلل، أو بقصد لفت النظر إلى مفارقة عجيبة لا تصمد أمام النظرة الفاحصة والتأمل الواعي. فهو في آيتين يعقب حوارا يهدف إلى كشف الخطل في عبادة ما لا يملك شيئًا وترك عبادة ما يملك كل شيء (يوسف والرعد)، وهو في ثلاث آيات يعقب حديث الآخرة وموقف الحساب (إبراهيم وص وغافر)، وهو في آية يعقب حديثًا عن سفاهة عبادة غير الله، ويسبق حديثاً عن مظاهر كونية عديدة يستحق من يأتي بها صفة العزة، والقهر، مثل: خلق السموات والأرض وتكوير الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر (الزمر).

والخلاصة:

أن الترادف التام الذي يمكن فيه التبادل بحرّية بين الألفاظ في جميع السياقات نادر الوجود على مستوى اللغة بعامة، والقرآن الكريم بخاصة. وما اعتبرناه ترادفا تامًا نظرنا فيه إلى إمكانية تبادله مع غيره في بعض السياقات، فهو ترادف تام بالنظر إلى هذه السياقات بأعيانها، وليس على سبيل الإطلاق. أما شبه الترادف والمتكافئ فقد جاء كل منهما كثيرا في القرآن الكريم، وهو يمثل مرحلة وَسَطًا بين الترادف التام، والتقارب الدلالي الذي يجمع كلمات المجال الواحد في علاقات تقارب أو تباعد بينها. أما الترادف بين أسماء الله الحسنى فمعدوم تمامًا، سواء ما اختلفت جذور كلماته أو اتفقت.

الحواشـــي

١- أنظر: علم الدلالة ص ٣٧.

٢- السابق ص ٢٢٦.

٣- اختلف في تحديد القبائل الأخرى، فقيل هي: سعد بن بكـر، وهذيـل، وثقيـف، وخزاعـة، وأسـد، وضَبّة وألفافهما، وتميم، وقيس ومن انضاف إليهم. وقيـل: هذيـل، وتميـم، والأزد، وربيعـة، وهـوازن، وسعد بن بكر. وقيل: كنانة، وأسد بن خزيمة، وهذيل، وتميم (أو تيم الربـاب)، وضبّـة، وقيـس (انظر البرهان ٢١٩/١، ٢٢٠ والإتقان ٤٧/١-٤٩).

٤- من أنواع المعنى: المعنى الأساسي أو المركزي، والمعنى الإضافي أو العرضي أو الثـانوي كدلالـة لفظ المرأة على عدد من الصفات أو المعاني الإضافية التي تتغير من زمن إلى زمن، ومن مجتمـع إلى مجتمع كالثرثرة، ولبس أنواع معينة من الملابس، ودلالة لفظ يهودي على معاني الطمع والبخل والمكر والخديعة. ومنها كذلك المعنى الأسلوبي الذي يكشف عن الطبقة الاجتماعية، أو المنطقـة الجغرافيـة، أو التخصص، أو درجة العلاقة مع السامع، وذلك مثل الكلمات التـي تـدل علـى الزوجـة فـي العربيـة الحديثـة (عقيلتـه — زوجتـه — حرمـه — امرأتـه — مرتـه — الجماعـة — الأولاد ... إلـخ). هـذا بالإضافة إلى المعنى النفسي، والمعنى الإيحائي، وغيرها (انظر علم الدلالة ص ٢٦ وما بعدها).

٥- أسرار الترادف في القرآن الكريم ص ٦.

٦- البرهان للزركشي ٧٨/٤.

٧- السابق ٤٠٣/٢، وانظر أسرار الترادف ص ١٨-٢١.

٨- الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/٩.

٩- البحر المحيط ٣٤٣/٥.

١٠- الفروق ص ٢٨٣.

١١- الكليات ص ٧٧.

١٢- الجامع لأحكام القرآن ٤٣٠/١.

١٣- السابق ٢٣٠/٤.

١٤- الفروق ص ٢٤٤،٢٤٥.

١٥- الجامع لأحكام القرآن ٣٥/١٠.

١٦- السابق ٣٧٢/١٥.

١٧- البحر المحيط ٥٠٤/٧.

١٨- الفروق ص ٢٤٠.

١٩- يذهب الزركشي إلى القول بوقوع الترادف في القرآن الكريم بقصد التأكيد الصناعي، ويذكر من شواهده قوله تعالى: "فجاجًا سبلاً"، و "ضيقًا حرجًا" (انظر البرهان ٧٨/٤).

٢٠- يعني الآية: أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا (الآية ٣١).

٢١- الكليات ص ٩٧٨.

٢٢- وهي الآية الوحيدة في القرآن.

٢٣- الجامع لأحكام القرآن ٢٠٩/١٧.

٢٤- السابق ٢٦١/٧.

٢٥- البحر المحيط ٦/ ١٦٤.

٢٦- الفروق ص ٣٠٩/٣٠٨.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن ٣٦٧/٩.

٢٨- السابق ٦٠/١١.

٢٩- الكليات ص ٢١٢.

٣٠- القرطبي ٢٠٧/١٢، وأبو حيان ٤٤٠/٦.

٣١- القرطبي ١٠٢/٣، والزمخشري في الكشاف ١٣٦/١.

٣٢- القرطبي ١٠٢/٣، والزمخشري ١٣٦/١.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/٦.

٣٤- الفروق ص ٤٧.

٣٥- فرق بقوله: إنَّ جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة، وأتى فلان يقتضي مجيئه بشيء (الفروق ص٣٠٥).

٣٦- السابق والصفحة.

٣٧- الكليات ص ٣٤.

٣٨- انظر على سبيل المثال: الفروق ص ٢٦٤، والكليات ص ٤٩٨، ٤٩٩، وأسرار الترادف في القرآن الكريم ص ١١٧-١٢١.

٣٩- الكشاف ١٨٦/٣.

٤٠- الجامع لأحكام القرآن ١٦١/٣.

٤١- السابق ١٨٠/١٧.

٤٢- الكشاف ٥٤/٤.

٤٣- ص ٣٠٣.

٤٤- علم الدلالة ص ٢٣١.

٤٥- البحر المحيط ١٠٨/٨.

٤٦- الكليات ص ٢٣٩.

٤٧- البحر المحيط ٢٨٤/٧.

٤٨- انظر القرطبي ٢٠٠/٩، ٢٧٠/١١.

٤٩- السابق ١٢٦/٩، ١٢٧.

٥٠- السابق ١٠٢/١٥.

٥١- لسان العرب (حلم).

٥٢- الكليات ص ٤٠٤.

٥٣- يقول الراغب الأصفهاني: والغيث: المطر (المفردات ص ٣٦٧).

٥٤- فقه اللغة ص١٩٠.

٥٥- الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٦. وقد ذكر الكفوي ما يقرب من ذلك، إذ قال: الغيث: هو مطر في إبّانه، وإلا فمطر (الكليات ص ٦٨٢).

٥٦- أسرار الترادف في القرآن الكريم ص ٣٥. وقد فسرهما الراغب الأصفهاني بالاغتياب (ص ٤٥٤، ٤٥٦).

٥٧- الفروق ص ٤٤.

٥٨- اللسان: لمز.

٥٩- الفروق ص ٤٤.

٦٠- الكليات ص ٨٠٠.

٦١- الفروق اللغوية للشايع ص ٢٦٠-٢٦٢، وأسرار الترادف في القرآن ص ٦٣،٦٤.

٦٢- الكليات ص ٢٩٦.

٦٣- الصاحبي ص ١١٤، وعلم الدلالة ص ٢١٨،٢٢٩.

٦٤- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن ص ٢١٦،٢١٧.

٦٥- الفروق ص ٣٥،٣٦.

٦٦- السابق ص ١٧٠.

٦٧- السابق ص ١٥.

٦٨- السابق ص ٨٤.

٦٩- المقصد الأسنى ص ٧٢.

٧٠- معاني أبنية المبالغة للسامرائي ص ٥٦.

٧١- البحر المحيط ٤٦٥/٥.

٧٢- على الرغم من اشتراك وزن فعيل بين المبالغة والصفة المشبهة فقد اخترنا له هنا معنى المبالغة نظرا لتعدي الفعل من ناحية ولتفضيلنا معنى التكرار وكثرة الوقوع على معنى الثبوت والدوام من ناحية أخرى.

٧٣- أسماء الله الحسنى لأحمد مختار عمر ص ٥٥، ٦٥، ١٣٨- ١٤٣.

٧٤- السابق ص ١٠٠.

٧٥- شرح الشافية ٨٣/١.

٧٦- المقصد الأسنى ص ٧٧.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي — مكتبة الهلال — لبنان.

٢- أسرار الترادف في القرآن الكريم لعلي اليمني دردير - دار ابن حنظل، بالفيوم ١٩٨٦.

٣- البحر المحيط لأبي حيان.

٤- البرهان في علوم القرآن للزركشي - تحقيق أبي الفضل إبراهيم - دار التراث بالقاهرة ١٩٥٧.